محاضرات في :

**النظام السياسي في العراق المعاصر**

**م. د. محمد فيحان الدليمي                                                                  المحاضرة الثالثة**

**نشوء الدولة المعاصرة – الاسس والتقاطعات - : الاحتلال واعلان الانتداب البريطاني 1914-1920 .- الادارة البريطانية والمشروع الاستعماري في العراق – الحركة الوطنية والمشروع الاستقلالي 1914-1920 .**

**الاحتلال واعلان الانتداب البريطاني 1914-1920 .**

يقع العراق على الخليج العربي الذي يعد جزءاً مهماً من طريق الهند البري والذي يعد طريقاً حيوياً لمواصلات الامبراطورية البريطانية , وان هذا الموقع قد اكسب العراق اهمية استراتيجية كانت من اهم العوامل التي ساعدت البريطانيين على احتلاله ، وفي مطلع القرن العشرين ازدادت تلك الاهمية الاستراتيجية للعراق درجة كبرى ، نتيجة لاكتشاف النفط في عبادان – ايران المجاورة للعراق .

ومن جانب اخر , فان المصالح الاقتصادية كانت سبباً اخراً لاحتلال العراق ، فهناك المصالح الاقتصادية البريطانية التي تركزت على شراء المواد الاولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وخيول ، وعملت بريطانيا على ربط الاقتصاد العراقي بالرأسمال الاجنبي , وقد دفع تزايد المصالح البريطانية في العراق الساسة البريطانيين الى اعتبار وادي الرافدين مجالاً حيوياً للنشاط السياسي والاقتصادي البريطاني . وتأكيداً لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى .

اندلعت الحرب العالمية الاولى في اب 1914 وكانت الدولة العثمانية قد تعاطفت مع المانيا وهو سببٍ كافي لاندفاع بريطانيا نحو العراق , وفعلاً بدأت تهيء قواتها العسكرية للحفاظ على احتلالها للخليج العربي ، وفي 5 اب من العام نفسه انحازت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب ، فصدرت التعليمات البريطانية لتوجه قواتها الى جنوب العراق ، وفي عشية الغزو البريطاني للعراق اصدر السير برسي كوكس – الضابط السياسي البريطاني المرافق للقوات البريطانية- بيانا زعم فيه ان حكومته قد اجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي للعثمانيين ، لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها واجلاء العثمانيين من المنطقة  وان لا عداء لها مع العرب شريطة الا يحموا الجنود العثمانيين ولا يحملوا السلاح في تجوالهم ، وبذلك يتسنى لجيشه الغازي ان يتوغل بسهولة .

نزلت القوات البريطانية في منطقة الفاو جنوب العراق في يوم 6 تشرين الثاني 1914 ورفع عليها العلم البريطاني بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيين الى الانسحاب ، وبذلك تمكنت بريطانيا من السيطرة على مدخل شط العرب , استمر التقدم البريطاني  حتى وصل الى البصرة واحتلها في 22 تشرين الثاني ورفع العلم البريطاني فيها ، واقامت المعسكرات فيها وتم مطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة ،  واحتلتها في 9 كانون الاول 1914, بعد دخول القوات البريطانية القرنه استمرت بتقدمها نحو الشعيبة وتراجعت القوات العثمانية نحو العمارة والناصرية  ، واتجهت قوة بريطانية برية ونهرية في دجلة الى العمارة فاحتلتها في 2 حزيران 1915 ، كما احتلت قوة اخرى في الفرات الى الناصرية في 25 تموز بعد معارك دامية ، وهكذا تم للبريطانيين السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية  .

    شجع احتلال البصرة والانهيار السريع للمقاومة العثمانية القادة العسكريين البريطانيين على التقدم نحو بغداد ، اذ تقدمت نحو بغداد بقيادة الجنرال طاوزند غير ان العثمانيين حاولوا تجميع قواتهم المندحرة وشكلوا لجنة لتحصين مدينة بغداد لأجل الدفاع عنها ، وحدثت اول معركة بين الطرفين بالقرب من الكوت في 27 ايلول 1915 استمرت عشرين ساعة ، انتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين الى المدائن جنوب بغداد ، بعد ان خسر فيها العثمانيين 17 الف مقاتل وجريح و1289 اسير ، ثم واصل البريطانيون تقدمهم نحو بغداد بعد استعدادات دامت ستة اسابيع , غير انهم تعرضوا لانكساراً في المدائن في طريق تقدمهم نحو بغداد , وقد استغلت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن وتعقبت القوات البريطانية المتراجعة وحاصرت البريطانيين في مدينة الكوت في 7 كانون الاول 1915 واستمر الحصار قرابة خمسة اشهر اضطر بعدها البريطانيون الى الاستسلام في يوم 29 نيسان 1916 ، وبلغ عدد القوات المستسلمة (13500) جندي عدا الضباط وارسلوا اسرى الى الاناضول .

   لم يستثمر العثمانيون الهزيمة البريطانية وبدل ان يتقدموا للقضاء على القوات البريطانية عملوا على ارسال قواتهم الى ايران الامر الذي مكن البريطانيون من تعزيز قواتهم من جديد بعد تولي الجنرال ستانلي مود قيادة هذه القوات ، وتم الهجوم على العثمانيين منذ اوائل عام 1917 وبدأت معارك طاحنة بين الطرفين اضطر بعدها العثمانيون الى الانسحاب من الكوت الى المدائن يوم 27 شباط وتحصنوا فيها ، ثم دخل البريطانيون بغداد فجر يوم 11 اذار 1917 بقيادة الجنرال مود .

واثر ذلك , واصل البريطانيون تقدمهم نحو شمال العراق واستطاعوا اسقاط المدن تباعاً , فاحتلوا سامراء في 22 نيسان والرمادي في 29 ايلول وتكريت في 6 تشرين الثاني 1917 ، وبقي الجيش البريطاني عند الفتحة جنوب الشرقاط حتى اواخر تشرين الاول 1918 حيث عقدت هدنة مودروس في  30 تشرين الاول 1918  ، وافق على اثرها العثمانيون على الجلاء من مدينة الموصل ورفع العلم البريطاني عليها  في 8 تشرين الثاني 1918 ، وبذلك انتهت العمليات العسكرية البريطانية وتم احتلال العراق بعد اربع سنوات وخضع العراق للإدارة البريطانية .

وفي 25 نيسان 1920 انعقد المجلس الاعلى لدول الحلفاء المتكون من بريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الامريكية في سان ريمو بإيطاليا وكان من جملة قراراته توزيع الانتدابات على البلاد العربية المنسلخة عن الدول العثمانية وتقرر ايداع الانتداب على العراق وفلسطين إلى بريطانيا , وعند ذلك , اعدت بريطانيا مشروع صك انتدابها على العراق وقدمته إلى عصبة الامم , فقبلته العصبة , وعلى اساسه ترتبت علاقة بريطانيا مع العراق من جهة , ومع عصبة الامم من جهة اخرى , لتنفيذ احكام ذلك الصك الذي اعلنه وكيل المندوب السامي في بغداد ارنولد ولسن في الثالث من ايار عام 1920 , والذي نص على :

1. تضع بريطانيا خلال ثلاث سنوات قانوناً وبمشورة الحكومة العراقية الوطنية يبين فيه حقوق الاهالي في العراق مع التدرج في ترقيته كدولة مستقلة ويصادق عليه من قبل عصبة الامم .
2. يحق لبريطانيا الاحتفاظ بجيش لحفظ العراق من الاعتداء والعمل على تأسيس جيش عراقي بأشراف بريطاني .
3. تقوم بريطانيا بإدارة علاقات العراق الخارجية , وله الحق بفرض الحماية السياسية والقنصلية على رعايا العراق في البلدان الاجنبية .
4. تتعهد بريطانيا بالحفاظ على وحدة الاراضي العراقية وعدم التنازل او التأجير لأي دولة كانت , ولا توضع تحت سلطة دولة اجنبية .
5. يلغى اعفاء الاجانب وامتيازاتهم في المصالح الناتجة عن المحاكم القنصلية , والحماية التي كانوا يتمتعون بها نظاماً او عرفاً في السلطة العثمانية

وقد اثارت لائحة الانتداب هذه غضب العراقيين والحركة الوطنية وجوبهت بالرفض والتجأت إلى العمل السري بعقد الاجتماعات واتخذت التدابير اللازمة لحماية اهدافهم في الاستقلال التام وبدأ التنديد بسياسة الاحتلال , وقد قابلتها سلطات الاحتلال بالشدة والاعتقالات واطلاق النار , وطالبوا بأنشاء مجلس تأسيسي يضع دستور للبلاد وتقرير شكل الحكم , كما طالبوا بأطلاق حرية الصحافة .

**الادارة البريطانية والمشروع الاستعماري في العراق :**

  ان الاسس التي قامت عليها الادارة البريطانية في العراق يمكن تلخيصها كالاتي :

1- العمل على تامين احتياجات الجيش البريطاني بالاستيلاء على بعض الاراضي والممتلكات وتشغيل العراقيين لخدمة المجهود البريطاني .

2- التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق مستعمرة هندية تمهيداً لضمه للهند تحقيقا للسياسة الاستعمارية .

3- محاولة التقرب من العشائر والاهتمام بإقامة العلاقات مع بعض رؤسائها والعمل على زيادة نفوذ هؤلاء الرؤساء بمدهم بالمال ومنحهم الاقطاعيات الكبيرة .

4- العمل على ايجاد نظام اداري تتركز فيه السلطات الاساسية في ايدي الحكام والسياسيين ومعاونتهم .

5-العمل على وضع نظام مالي يساعد في توفير الاموال اللازمة لمتطلبات جيش الاحتلال.

 كان هدف الاحتلال هو ربط العراق بالإدارة الهندية او اعطائه نوعا من الحكم الذاتي  ، وتشغيل العمال لخدمة الجيش المحتل , وقد اقتصر موقف الشعب في البداية على الترقب والانتظار لتنفيذ الوعود البريطانية للعرب عامة والعراق خاصة .

 وخلافاً للوعود البريطانية دأبت الادارة البريطانية على اقامة نظام احتلال استعماري اصبحت فيه السلطة المطلقة بأيدي القيادة العسكرية البريطانية ، اما الادارة المدنية فكانت خاضعة لحكومة الهند البريطانية ، وتراس تلك الادارة برسي كوكس .

 عمدت الادارة البريطانية على اجراء استفتاء لتزييف ارادة الشعب العراقي وتأليف الحكومة التي تريدها بريطانيا باسمه ، وجاء في الاستفتاء الامور الاتية :

1. هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بإرشادها بريطانيا وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج العربي ؟
2. وفي هذه الحالة هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها امير عربي ؟
3. واذا كان الامر كذلك ، من الذي يفضلون تنصيبه رئيسا للدولة ؟

   وارفق ويلسون – المندوب السامي البريطاني – مع البيان تعليمات الى كل الحكام السياسيين في مناطق العراق المختلفة بان يبحثوا تلك النقاط بصورة سرية مع الشخصيات البارزة وخاصة مع الشيوخ البارزين لعرض القضايا المشار اليها على الحاضرين , وبدأ ويلسون بأجراء استفتاء في المناطق العشائرية والمدن بالشيوخ والملاكين من الوجهاء المتعاونين مع بريطانيا لتكون النتيجة المطالبة باستمرار بقاء الحكم البريطاني , علما ان الاستفتاء لا يمثل راي الشعب العراقي المناهض للاحتلال ، فقد اختير الاشخاص المتعاونين مع السلطات البريطانية لتوقيع المضابط والمذكرات .

**الحركة الوطنية والمشروع الاستقلالي 1914-1920 .**

قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى كان الوعي السياسي والحركة الاستقلالية عند عموم العراقيين في طور النمو وبشكلٍ بسيط مقتصراً على ضباط الجيش وعلماء الدين والملاكين والتجار وطبقة الموظفين والطلاب التي تسمى احياناً بطبقة الافندية , وقد استمد الافندية الوقار من عناوين وظائفهم الرسمية ومن النزر اليسير من التعليم الذي ميزهم عن الغالبية الساحقة من السكان الاميين , واتسم هذا الوعي , في الغالب , بطابع ديني وجو اسلامي , اذ كان ينظر إلى السلطان العثماني والدولة العثمانية على انهما امتداد للخلافة الاسلامية , والخروج عليهما هو خروج على الاسلام والكفر به , ولم يكن من المتصور بالنسبة للطبقات الاجتماعية العليا قيام حركة استقلالية قومية عربية , فهؤلاء قد عاشوا كعثمانيين لأربعة قرون , كان الدين هو العامل السائد في الدولة العثمانية .

لذلك , كان موقف الحركة الوطنية قد تمثل بإصدار الفتاوي بان كل شخص يرغب في حكومة غير عربية مسلمة يعد خارجاً عن الدين . وفعلاً صدرت فتوى دينية من المرجع الديني في كربلاء الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي حرمت على المسلمين اختيار غير المسلم للأمارة والسلطنة على المسلمين , وجاء في نص الفتوى " ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلم للأمارة والسلطنة على المسلمين " , وقد صفعت هذه الفتوى السلطة المحتلة ومن والاها صفعة قوية , وبما انه كان هناك رأياً عاماً شاملاً تقريباً يرى ان الدولة العراقية المزمع تأسيسها يجب ان تظم الولايات الثلاث الموصل وبغداد والبصرة , وان الموصل يجب ان لا تبقى خارج الدولة العراقية , خصوصاً وان الدولة التركية كانت تضغط باتجاه بقاء الموصل اليها , لكن الاختلاف كان على شكل الحكومة او هوية الحاكم المقبل .

 ولمواجهة الاحتلال البريطاني ظهرت بعض الجمعيات الوطنية وكانت اولى تلك الجمعيات (جمعية العهد العراقي) التي تأسست عام 1919 وكان لها فروع في الموصل وبغداد ، تضمن برنامجها الاتي :

1. استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية .
2. طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا على ان تكون هذه المساعدة بالثمن ولا تمس استقلال العراق التام .
3. انهاض الشعب العراقي ليباري ارقى الامم الغربية .
4. السعي لخير الامة العربية عامة .

 اما الجمعية الثانية فهي ( جمعية حرس الاستقلال ) التي تأسست في بغداد نهاية شهر شباط 1919 وتضمن برنامجها الامور الاتية :

1. استقلال العراق استقلالاً تاماً .
2. تشكيل مملكة عراقية يستند فيها العرش الى احد انجال الملك حسين على ان يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً .
3. العمل على ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية .
4. توحيد كلمة العراقيين وبذل اقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب.

واكثر ما يميز تلك المدة , اجتماع الوطنيين المقتنعين بان الوقت حان لتنشيط حملتهم عن طريق انتخاب لجنة تمثل الشعب وتطرح علناً ورسمياً قضية استقلال العراق امام السلطات المحتلة , وعليه فقد نظم مولد كبير في السابع من رمضان الموافق 26 ايار عام 1920 وقد انتهى باصطدام عنيف مع الشرطة وتم انتخاب خمسة عشر مندوباً يمثلون (قضية الامة) , وقد اجتمع المندوبون وكتبوا رسالة إلى المندوب المدني البريطاني يطلبون فيها مقابلته , وقد اعلنوا انفسهم كمندوبين عن بغداد والكاظمية , ووافق ولسن على مقابلتهم , الا انه لغرض معاكسة مطالبهم وجه الدعوة إلى 20 من وجهاء بغداد الاخرين ممن كان واثقاً من تأييدهم له , وقد عرف يوسف السويدي وهو احد المندوبين المنتخبين خبر مناورة ولسن الذي دعا بدوره المندوبين إلى اجتماع عاجل مقترحاً كتابة رسالة عاجلة إلى رؤساء العشائر واهل المدن والطلب منهم التهيؤ للثورة في حال رفض المطالب , وكذلك دعوة الوجهاء الاخرين الذين دعاهم ولسن إلى اجتماع عاجل , وانعقد الاجتماع المذكور وحث المندوبون الوجهاء المدعوين الاخرين على توحيد الموقف لمواجهة ولسن , وعرض القوميون مطالبهم وتعمدوا بجعلها معتدلة وبذلك كسبوا تأييد الوجهاء الاخرين من مسلمين ومسيحين , وتم الاجتماع مع ولسن في السراي الحكومي في 2 حزيران 1920 وكانت وقتها مظاهرة كبيرة قد تجمعت حول السراي واستقبلت المندوبين بهتافات تطالب بالاستقلال , وعلى الرغم من ان ولسن حذرهم باجراءات شديدة ان لجأوا إلى العنف , الا ان السويدي قام نيابة عن الوفد وطرح المطالب التالية :

1. تشكيل مجلس عراقي يمثل البلاد ويقرر شكل الحكومة العراقية القادمة .
2. حرية الصحافة
3. رفع القيود عن الاتصالات البريدية والبرقية في داخل البلاد مع العالم الخارجي .

وتساءل السويدي " لماذا التأخير في تشكيل الحكومة الوطنية " وحذر من "ان صبر الامة قد بدأ بالنفاذ" , وقد ايد الفريق الموالي لبريطانيا اقوال المندوبين من مسلمين ومسيحين ويهود , الا ان ولسن اجاب بأنه " لا يمكن اقامة حكومة وطنية على الفور " وهو ما كرس التفرقة بين المندوبين وولسن , والذي قامت على اثر ذلك الحركة المسلحة والتي انفجرت بعد مرور شهر من الاجتماع في مناطق الفرات الاوسط , برغم المحاولات البريطانية لتهدئة الموقف الا ان تلك المحاولات باءت بالفشل مما اضطر ولسن إلى اصدار الاوامر باعتقال القادة جميعاً من القومين المندوبين في بغداد , واصدر كذلك امراً منع بموجبه اقامة المواليد او التعزية وكل شكل اخر من اشكال التجمعات السياسية , واستطاع اغلب القادة مقاومة اوامر القاء القبض عليهم وجرت مقاومة مسلحة في بعض المناطق , وفي الاسبوع التالي كان معظم مندوبي بغداد والزعماء القوميين والقادة الوطنين قد اعتقلوا , وقد اقدمت السلطات البريطانية على المزيد من اجراءات القمع والكبت , وكانت تلك الضربة موجعة للحركة القومية والوطنية والاستقلالية في بغداد , الا انها لم تكن قاتلة .